

## الأبيض والأسود: نص بصري عارٍ إلا من الجوهر

هنا، في تلك الصور الفوتوغرافية "غير الملونة" يلعب الأسود والأبيض دورا مفضليا في أن لا تكون الصور وصفية بقدر ما هي ذهنية تحليلية. ينسحب الأمر ذاته على مجموعة من لوحات بالأسود والأبيض لأسامة بعلبكي. لوحات سيطرت عليها درامية النص السردي المباح بصريا في بوسطة مُصَدَّعة رُكَّنت في عزلتها إلى جانب من طريق مجهول ومُهْمَل. تحيلنا لوحاته تلك إلى ما قاله يوما المصور العالمي إنسل آدمز "الصور الفوتوغرافية بالأسود والأبيض هي تجريدية بطبيعتها.. تحيد عن الواقع الملون، ولكن في حياديتها عنه هي شديدة الواقعية وتمتد بعيدا عن زمنها المحدود".

وما الزمن غير المحدود الذي تشير إليه اللوحات الفنية والصور الفوتوغرافية الظاهرة بالأسود والأبيض، إلا زمن الاستقراء المُسَاعلة والتهميل في إصدار الحكم. قَدَم الفنان أسامة بعلبكي غير العمل الذي جسّد فيه بوسطة عين الرمانّة أعمالا أخرى بالأسود والأبيض تكاد أن تكون منبغثة من هذا الشيء/ الحى الذي هو بوسطة عين الرمانّة. سيارات وقافلات نقل أخرى لاقت مصيرا مُشابهها لبوسطة عين الرمانّة إما لتورطها في حوادث البيمة أو في تاكلها داخليا لفرط ما تحمل، أو لهول ما تحمل، من ذكريات.

ميموزا العراوي

ناقدة لبنانية

"لديك الحق في أن تبقى صامتا، أي شيء يمكن أن تقوله من شأنه أن يُستخدم ضدك في قضاء المحكمة، لديك الحق في إحضار محام معك خلال فترة الاستجواب". ما سبق ذكره هو "تحذير ميراندا". من منا لم يسمع بهذه الكلمات الحقوقية التي يجب على الشرطي أن يتلوها على مسمع أي متهم حين اعتقاله؟

هذه الكلمات لم تُتَلَّ على بوسطة عين الرمانّة، الشرارة الأولى للحرب اللبنانية حين "اعتقلت" بعد حادثة إطلاق النار المأساوية على من بداخلها، لتستغل هي واسمها في شتى أنواع الابتكارات الفنية/ الاجتماعية/ الاستعراضية المُسطحة حينها، والغرضية الاستغرائية حينها آخر، وطيبة النية في أحيان أخرى. تنقلت من مالك إلى آخر واعتبرت جلابة للشؤم، كما جاء على لسان والدة أحد أوائل المالكين "إن البوسطة لم تتلق الرصاص مرة واحدة فحسب، ففي كل معركة من معارك بيروت كانت لها حصّة من الرصاص والقذائف".

انتقلت البوسطة من مالك إلى آخر كوابر مرصود ليقوم أحد المالكين بمقاومتها بصندوق شاحنة مع السائق سامي حمدان الذي انتقلت إليه ملكيتها، قبل نحو عشرين سنة.

أقسم حمدان أنه لن يبيعه وسيكون لها مكان في متحف الحرب اللبنانية يوما ما. سامي حمدان كان محاميا الأول الذي حيد "جسدها" عن كل التحولات الفولكلورية التي قد تتعرض لها.

أمام جولات "تشبيء" ما تمثله البوسطة المسكونة بحياة تُستباح كل يوم بأسلوب مُختلف، وأمام إقصائها عن حقلها في أن "تبقى صامتا، لأن أي شيء يمكن أن تقوله من شأنه أن يُستخدم ضدها". حضر محام فان لها، وهو فنان تشكيلي تولّى بريشته تحسين قصص تاريخها المتضاربة وصيانة الغارها، ريثما يحين زمن المُكاشفة والكشف الحقيقي عن ملاسات حادثة انحرافها عن مسارها، والذي كان مصرحا له في ذلك اليوم المشؤوم بامر من شرطي سير ظل اسمه مجهولا إلى اليوم. هذا المحامي هو الفنان اللبناني أسامة بعلبكي.

إن أردنا أن نذكر تماما ما صنع الفنان حين رسمها بالأسود والأبيض في لوحة غلب عليها الحنين والكتابة في خلطة قاتلة لا يمكن أن لا تطال روح من تأمل فيها، يجب علينا أن نعود إلى الصور الفوتوغرافية الأصلية المأخوذة لبوسطة عين الرمانّة بالأسود والأبيض يوم الواقعة، والتالية لها التي توفّق النسبان. فهذه الصور مسحور بشعوات التي نمت إليها كما تنمو على ضفاف وجدران قصر مسحور بشعوات النسيان. أبيضها تبقى الأكثر صدقا وإلحاحا في التركيز على معنى الحادثة أكثر من الالتفاه بهيئتها المتمثلة بالبوسطة.

أما الرجال من النجوم فبعضهم ارتدى الجبة والبرنس ووضع على رأسه الشاشية التونسية الحمراء. وتواصل ما هو تقليدي باختيار خيمة لتقديم حفل الافتتاح وهي نفس القاعة التي تعرض فيها الأفلام مع خيمتين جانبيتين. وبرّر مدير المهرجان، سامي مهني، اختيار الخيمة بأنها تمثل ديكورا صحراويا بريزيا يعكس تراث منطقة الجريد التونسي، وهو ما انسحب أيضا على جائزة المهرجان، العُرب الذهبي، كون العُرب من الكائنات الصحراوية، وقال "كنا مترددين بين الخيمة والجمال أو العُرب، ليقع اختيارنا في الأخير على العُرب".

وداخل الخيمة تالتت كلمات النجوم من بينها كلمة الكولومبي الخاندرو بوشلي التي عزّ فيها عن شديد إعجابها بالمهرجان، معربا عن توفقه إلى إبرام تواصية تعاون بين المهرجان الدولي للسينما بتوزر وأحد مهرجانات السينما بكولومبيا.

وشهد الممثل والمخرج التونسي محمد علي النهدي، في تصريح خصّ به "العرب"، على ضرورة تشجيع المهرجان والإيمان به، خاصة وأن محافظة توزر شهدت منذ سبعينات القرن الماضي تصوير العديد من الأفلام التونسية وحتى العالمية، مؤكدا على جدوى افتتاح المهرجانات السينمائية التونسية على المناطق الداخلية بعيدا عن مركزية العاصمة تونس.

وأفادت هنده حوالة، المديرية الفنية للمهرجان، أن الهيئة المديرية اختارت توزر لإقامة فعاليات النسخة الثانية من المهرجان الدولي للسينما لرغبتها في أن تصبح هذه المحافظة عاصمة السينما بالجنوب التونسي، وللعمل من أجل عودة تصوير الأفلام بها كما كان الأمر في الفترات السابقة.

وبدورها أشادت الممثلة التونسية ريم بن مسعود، بفكرة إنشاء مهرجان سينمائي دولي بالجنوب التونسي، تحديدا بمدينة توزر، بوابة الصحراء التونسية، وأنها سعيدة بأن يشاهد أبناء المحافظة المتعشقين للسينما في مدينة كان لها دور ريادي في ترسيخ هذا الفن محليا وعالميا.

وعدّد الإعلامي التونسي مراد مزبود مزايا توزر، ووصفها بالديكور الطبيعي المفتوح في مختلف مناطقها كتصوّرة والشبيكة وعنق الجمل، وهي مناطق يجنّبها المخرجون لعدم بنقاوة الفضاء، قائلا "السما هنا نظيفة، خالية من التلوث، مما يضيف شفافية على الصورة ووضوحا على الصوت". الأمر الذي يمكن توزر من استعادة بريقتها السينمائي العالمي، وهي التي كانت ولا تزال تستهوي المخرجين والمنتجين، فقد صور فيها أكثر من 110 أفلام عالمية ك"حرب النجوم" و"المريض الإنكليزي".

## نجوم العالم يلتقون على حب السينما والحياة في تونس

المهرجان الدولي للسينما بتوزر: أحلام باستعادة مجد الإنتاج العالمي بتونس



«لا بد أن تكون الجنة» لإيليا سليمان في أول عروضه بتونس

كما يعرض المهرجان من تونس الفيلم الروائي الطويل الأول لمهدي البرصاوي "بيك نعيش" وفيلم "طوم" لمحمد علي النهدي.

ولا تقتصر فعاليات المهرجان على عرض الأفلام فحسب، حيث قال مديره، سامي مهني، في تصريح لـ"العرب"، "عملنا أيضا على تقديم ورشات تكوينية لفائدة الشباب في مجال السينما، حيث لاحظت ومنذ الدورة التأسيسية للمهرجان في العام الماضي، مدى شغف الشباب بالفن السابع، علاوة على كون تضاريس وواحات وجمال توزر جعلتهم دون أن يعلموا، سينمائيين بالفطرة، حتى أولئك الذين لم يتكوّنوا أكاديميا".

ومن هناك قُزِر القائمون على المهرجان إحداث ورشات تكوين سينمائية مختصة تحت إشراف المخرج التونسي العالمي عبداللطيف كشيح المتحصل على السعفة الذهبية في مهرجان كان، وأخرى سيتولى الإشراف عليها المخرج التونسي عبدالحميد بوشناق وثالثة تحت إشراف جمعية المنتجين الفرنسيين لفائدة أكثر من 100 شاب أغلبهم ينتمون لمحافظة توزر.

ويضيف مهني "الشارع أيضا يحتفي بالسينما في هذه التظاهرة، من خلال 'سينما البطاحي' (سينما الساحات)، حيث سببت المهرجان عددا من الأفلام في إطار الحق في سينما مجانية منفتحة لا تحتويها فقط القاعات المغلقة، كما سيكون للمدارس التي تقع بالقرب من الحدود الجزائرية بمدينتي حزة وتمغزة نصيبها من السينما، حيث ينتقل إليها طلبة أيام المهرجان فريق من الممثلين التونسيين لعرض الأفلام ومناقشتها مع الناشئة".

تحتفي محافظة توزر (جنوب غرب تونس) على امتداد ستة أيام متتالية بالفن السابع، وذلك عبر مهرجاناتها الدولية للسينما الذي أشعل في السادس من ديسمبر الجاري شمعتها الثانية، بمشاركة أكثر من 200 ضيف من تونس ومن 15 بلدا بين عرب وأفارقة وأجانب.

السينمائي الأخير. وفي فئة الأفلام الروائية الطويلة يحضر الفيلم الحدث للمخرج الفلسطيني إيليا سليمان "لا بد أن تكون الجنة" الذي حاز في مايو الماضي على جائزة الاتحاد الدولي للنقاد لأفضل فيلم في مهرجان كان السينمائي. وتشارك 5 أفلام عن فئة الأفلام القصيرة من بينها الفيلم التونسي القصير "شارتار" للمخرج صبري بوزيد الذي ظفر بجائزة التانيت الفضي في أيام قرطاج السينمائية الثلاثين، علاوة على فيلم "نادي كرة القدم بنفطة" للمخرج إيف بيات الذي صور في ربوع مدينة نفطلمحافظة توزر، وفيه يروي مخرجه عشق الأطفال لكرة القدم.

توزر (تونس) - يشارك في الدورة الثانية للمهرجان الدولي للفيلم بتوزر، الذي انطلق في السادس من ديسمبر الجاري ويتواصل حتى الحادي عشر من الشهر نفسه، 37 فيلما من 15 دولة، منها 18 فيلما في المسابقة الرسمية تتنافس على جائزة "العرب الذهبي" والتي تُوزَع بين ثمانية أفلام في المسابقة الرسمية للأفلام الروائية الطويلة وخمسة أفلام في المسابقة الرسمية للأفلام الوثائقية الطويلة ومثلها في المسابقة الرسمية للأفلام القصيرة.

وتوزر، المدينة الحاضنة للمهرجان، ليست جديدة على عالم السينما، ففيها صور في سبعينات القرن الماضي الفيلم العالمي "حرب النجوم"، تحديدا في منطقة عنق الجمل، ولا يزال المكان يحافظ على ديكور تصوير الفيلم من صواريخ وبيوت صغيرة ذات قباب بيضاء تشبه الكوكب، كون الفيلم يندرج ضمن سينما الخيال العلمي، وهو المكان الذي تحوّل إلى مزار يؤمه السياح من مختلف أصقاع العالم.

حرفاء للموشي

توزر (تونس) - يشارك في الدورة الثانية للمهرجان الدولي للفيلم بتوزر، الذي انطلق في السادس من ديسمبر الجاري ويتواصل حتى الحادي عشر من الشهر نفسه، 37 فيلما من 15 دولة، منها 18 فيلما في المسابقة الرسمية تتنافس على جائزة "العرب الذهبي" والتي تُوزَع بين ثمانية أفلام في المسابقة الرسمية للأفلام الروائية الطويلة وخمسة أفلام في المسابقة الرسمية للأفلام الوثائقية الطويلة ومثلها في المسابقة الرسمية للأفلام القصيرة.

توزر، المدينة الحاضنة للمهرجان، ليست جديدة على عالم السينما، ففيها صور في سبعينات القرن الماضي الفيلم العالمي "حرب النجوم"، تحديدا في منطقة عنق الجمل، ولا يزال المكان يحافظ على ديكور تصوير الفيلم من صواريخ وبيوت صغيرة ذات قباب بيضاء تشبه الكوكب، كون الفيلم يندرج ضمن سينما الخيال العلمي، وهو المكان الذي تحوّل إلى مزار يؤمه السياح من مختلف أصقاع العالم.

عرض أول

يقدم المهرجان في دورته الثانية 37 فيلما، منها 18 في المسابقة الرسمية، بانواعها الثلاثة: الطويل والقصير والوثائقي، من بينها أفلام جديدة ستعرض لأول مرة في المهرجان، كما تقدم التظاهرة أفلاما جديدة كانت قد عرضت في المهرجانات السينمائية الكبرى على غرار مهرجان كان ومهرجان قرطاج ومهرجان القاهرة. كما يتم عرض الفيلم الحدث المنتظر خروجه في قاعات العرض السينمائية بفرنسا في يناير القادم، وهو الفيلم الفرنسي الجزائري "دم نجس" للمخرج عبدالرؤوف الظافري والذي يروي جانباً من المقاومة الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي. وضمن الأفلام الوثائقية، يحضر الفيلم الجديد للأفغاني أبوزار "كابول مدينة الريح"، الذي ينقل حياة الأفغان الصعبة قبل التفجيرات وأثناءها وبعدها، وكيف يجابهون خوفهم منها أثناء العمل والدراسة واللعب، وهو الفيلم الفائز بنجمة الجودة البرونزية في مهرجان الجودة



سيارة مهترئة خاضعة للسينما

المهرجان يسعى عبر إقامته بمحافظة توزر إلى استعادة الجنوب التونسي دوره الريادي في صناعة الأفلام العالمية



افتتاح مبهر

شهد حفل الافتتاح، مساء الجمعة، حضور نجومات وتسيرجات الشعر على أجمل إطالة يمكن أن تجود بها السجادة الحمراء، وهو سباق قبل السباق الرسمي للأفلام المتنافسة على جائزة "العرب الذهبي". أزياء مختلفة بين ما هو تقليدي وعصري، فقد حضرت الفساتين بمختلف ألوانها من الأحمر والأخضر إلى الأسود. والطابع التقليدي لم يغب أيضا عن ملابس بعض النجمات اللاتي ارتدين اللقطان وما يطلق عليه بـ"الحوالي" والكسوة التونسية ذات القطعتين مع إكسسوارات تقليدية كالنجاج وعقد من حبات البخور "السخاب".